مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

صورة المرأة في المجتمع الجزائري بين الموروث الديني والشعر الشعبي

دراسة سوسيو دينية–

The women's image in the Algerian society among religious heritage and folk poetry – socio-religious study -

عباسية بن سعيد[1] *

[1]جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

abbassiabensaid1@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/02/28 تاريخ القبول:2021/04/11

الملخص:

كانت ولازالت المرأة في مجتمعنا العربي عامة والجزائري خاصة محكومة بصورة نمطية سواء من حيث الوصف أو من حيث الوظيفة التي تؤديها في المجتمع. وهذه صورة تظهر من خلال التمايز بين الجنسين المستمد من المخزون الاجتماعي والثقافي، حيث يحتل الرجل في المجتمع العربي مكانة عليا تسمح له بالهيمنة على هذه المرأة الضعيفة والناقصة عقل ودين. وهذه الممارسات غذتها ذاكرة تاريخية تحيط بها أوهام وتصورات ترسّخت في الذاكرة الجمعية، بعضها يتعلق بتفسيرات دينية جاءت مشوهة أو بعيدة عن المعنى الحقيقي ، وبعضها تعلّقت بظروف سياسية أو اجتماعية لازالت راسخة في المخيال العربي شعرا أو نثرا. إذ تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على صورة المرأة في المجتمع الجزائري من خلال ما توارثه الناس من إرث ديني و أعمال فنية لشعراء استعملوا اللهجات الشعبية المعبرة على البيئة البسيطة من المجتمع .

الكلمات المفتاحية : الصورة – المرأة – التراث– الدين– الشعر الشعبي.

Abstract:

Women were and still are in our Arab society in general and Algerian one in particular, being stereotypically governed, whether in terms of description or in terms of the function performed in society. This is an image that appears through gender differentiation derived from the social and

* **المؤلف المرسل**: د. عباسية بن سعيد، **الايميل**: abbassiabensaid1@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

cultural inventory, where man occupies a high position in the Arab society that allows him to dominate this vulnerable woman who suffer from a lack of reason and religion. These practices are fed by a historical memory surrounded by illusions and perceptions deeply rooted in the collective memory, some of them are related to religious interpretations that were distorted or far from the true meaning, and some of them are related to political or social conditions that are still ingrained in the Arab imagination, whether in poetry or prose. This study aims to identify the image of women in Algerian society through what have people inherited as religious legacy and artistic works of poets who used popular dialects that express the simple environment of the society.

Key words: image - women - heritage - religion - folk poetry .

مقدمة :

تعد صورة المرأة من الموضوعات التي ركّزت وعالجتها الثقافة الإنسانية عامة.كون المرأة برموزها وقيمتها في الوجود الإنساني ودلالاتها الاجتماعية منجم لا ينضب ، ومازالت المرأة المحفز الأوّل في العملية الإبداعية كونها تمثّل المنبع للمكوّنات الداخليّة للمجتمعات سواء كانت دينية أو حياتية أو أدبية. و تمّ اختيارنا لهذا الموضوع لما له من قدر كبير من المتعة العلمية والأدبية، وبغية الإجابة على الإشكالية التالية :ما صورة المرأة وتحولاتها في الواقع الاجتماعي الجزائري ؟ وذلك بالنظر في الموروث الديني والشعر الشعبي.

1- صورة المرأة في التراث الديني:

يقصد بالموروث الديني ، الإنتاج المعرفي المستمد من النصوص الدينية، والذي خلّفه العلماء في شروحاتهم لقضايا معينة وتناقلته الذاكرة الجمعية .والمرأة في هذا الموروث كائن ناقص ، يفتقد الرشد . قد نتساءل من أين جاءت هذه الصورة الزائفة ، حول دونية عقلية المرأة ، وسلوك المرأة الذي يحتاج إلى رقيب يقوّمه ويحدّ من حريته ؟ هل هذا راجع لتكوينها البيولوجي حيث أن المرأة عاطفية والرجل عقلي راشد في سلوكه وتصرفاته؟ أم إلى غريزة السيطرة عند الرجل ؟

ويذهب بعض الدارسين ككلود ليفي ستروس وديكوجيس في تفسير سببية التمييز بين الرجل والمرأة من حيث المكانة " إلى القول بأنّ مكانة المرأة تتجسّد عن طريق الانتقال التاريخي بين نظامين اجتماعيين هما

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

النظام الأمومي الذي تمثّله المرحلة الأولى ، والنظام الأبوي البطريكي الذي تمثّله المرحلة الثانية، هذا الانتقال الذي كان أعظم ثورة اجتماعية في العالم القديم ناتج عنها وكان لهذه الثورة أعظم الآثار في العلاقة بين الرجل والمرأة." (صالح، 1971، صفحة 218) إذ نجد أنّ المرأة مهما بلغت من مكانة علمية أو اجتماعية ، فإنها تبقى خاضعة في استكانة للرجل سواء الأب أو الأخ أو الزوج وتحت سيطرة الأعراف و القوانين المتوارثة جيلا بعد جيل. وكأنّها لا تتعدى أن تكون شيئا وليست فردا في المجتمع. وعلى هذا الأساس فالتقاليد الأبوية والذكورية تصنع للمرأة صورا نمطية صورة التبعية أي لا تكتمل هويتها إلا إذا نسبت إلى رجل زوجة فلان أو بنت فلان أو أم فلان. كما تصور بالدونية إذا لم تكتمل وظيفتها الأساسية وهي الإنجاب الذي يعتبر وسيلة لاستمرارية النسل. و ترسخ هذه الفكرة مع تربية البنت وهي تدرب على علوية الذكر وإلى ضرورة التهيؤ لها طيلة تواجدها.

هذه النظرة المشوّهة للمرأة هي التي حكمت الأفق الثقافي الاجتماعي للمجتمع العربي و اشترك في إنتاجها وترسيخها علماء وفقهاء. من بينهم الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505 ه) في كتابه "إحياء علوم الدين " ، إذ نجده يثبت ذلك بدءا بسرد القواعد المثلى للمعاشرة الزوجية، فعلى الزوج أن يكون سيداً مطاعاً، لا يشاور زوجته، بل يعمل بخلاف رأيها، لأن طاعة المرأة ندامة وكيد النساء عظيم ، فليكن على حذر منهن، والمرأة إذا أكرمتها أهانتك، لأن سوء الخلق وركاكة العقل طبيعة فيهن، إذ يقول:" ينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة .لتسلم من شرّهم ، فإنّ كيدهنّ عظيم وشرهنّ فاش، والغالب عليهنّ سوء الخلق وركاكة العقل، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة." (الغزالي، 2005، صفحة 484) ويستشهد بحديث شريف رواه الطبراني من حديث أمامة بسند ضعيف " وقال عليه السلام: مثل المرأة الصّالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب." (الغزالي، 2005، صفحة 484) ، والغراب الأعصم يعني الأبيض البطن . (ابن منظور، د.ت، صفحة 406)

وقد ورد منع التزوّج بالمرأة العاقر عند بعض الفقهاء، كقول أبو حامد الغزالي:" فإن عرفت (المرأة) بالعقر، فليمتنع عن تزوّجها ...فإن لم يكن لها زوج ، ولم يعرف حالها، فيراعي صحّتها وشبابها، فإنّها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . (الغزالي، 1984، صفحة 68) ويستشهد عن ذلك بحديث الرسول

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(ص): "عليكم بالولود الودود ، فإنّي مُكاثر بكم". (الألباني، 1998، صفحة 415) والحديث رواه أبو داود والنسائي من حديث معقل بن ياسر وإسناده صحيح.

كما وجدنا عند الإمام الذهبي (ت748هـ) ما يزيد صورة المرأة أكثر سوادا فالمرأة عورة كلها، وعليها أن لا تخرج من بيتها، ويستدلّ بحديث نبوي أخرجه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا،إذ يعلق عليه الطبراني " لم يروِ هذا الحديث عن عمرو بن دينار إلا محمد بن زيد." (الطبراني، 1995، صفحة 164) ورغم ذلك فنص الحديث عند الطبراني يختلف عما جاء به الذهبي خاصة في عبارة وهو "كاره لذلك" أي عدم رغبة الرجل في خروجها، فالأول عن ابن عمر ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول:" إنّ المرأة إذا خرجت من بيتها ، وزوجها كارهٌ لذلك ، لعنها كلّ ملك في السماء وكل شيء تمرّ عليه، غير الجنّ والإنس، حتى ترجع." (الطبراني، 1995، صفحة 164) و في الثاني :" من خرجت من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب." (الذهبي، 2003، صفحة 343) ونجد ابن الحاج (ت 737هـ) يقول في مدخله: "وقد قال بعض السلف رضي الله عنهم أنّ المرأة في عمرها ثلاث خرجات خرجة لبيت زوجها حين تهدى إليه وخرجة لموت أبويها وخرجة لقبرها." (ابن الحاج، د.ت، صفحة 246) إذ نجده يستشهد بهذا القول دون أن يثبت مصدره الصحيح ، ثمّ نجده يشبّه المرأة بالهدية التي تعطى للرجل بزواجه منها دون أن يكون لها اختيار أو وجود إنساني . حتى أنّ هذه الحرية الممنوحة للمرأة في الخروج في ما يُتداول في المجتمع نجدها تُختصر إلى خرجتين فقط المرة الأولى إلى بيت زوجها والثانية إلى القبر. إلا أنّنا نجد في صحيح البخاري حديثا آخر يبيح للمرأة الخروج " عن عائشة قالت: قال: قد أذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ." (البخاري، 2002، صفحة 1334)

ولترسيخ هذه الصورة النمطية للمرأة في العقلية الجمعية، نجد الذهبي يذكر حديثا لا أصل له ، "قال عليه السلام : تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ." ويعلّق على رأيه:" وإنما قال ذلك لأنّه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس ، فإنّ الله ملّكه المرأة." (الذهبي، 2003، صفحة 483) وهذا الحديث مستنسخ من حديث معروف رواه البخاري عن أبي هريرة يقول :" تَعِسَ عبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقطيفَةِ وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعطَ لَمْ يَرْضَ" (البخاري، 2002، صفحة 1603) ومن المأثورات عن عمر رضي الله عنه والتي ذكرها الغزالي أيضا:" خالفوا النساء فإنّ في خلافهن البركة. وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن." (الذهبي، 2003،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

صفحة 483) والمتداول في مجتمعنا أنّه يُردّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون سند، رغم أنّ الرسول الكريم كان يشاور النساء منهن زوجاته وصحابيات جليلات وكتب السيرة النبوية حافلة بهذه الأخبار.

كما نذكر مرويات أخرى شكّلت الإطار المرجعي للنظرة السلبية للمرأة في المجتمع العربي، من خلال تأويل الأحاديث فيما ليس في معناه الصحيح، ومنها:" لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجهاى، من عظم حقه عليها." إلا أننا نجد الترمذي يشكك في هذا الحديث وأصل روايته. (الترمذي، 1996، صفحة 453) ونجده يستغرب من حديث آخر ويذكر أنّ سنده ضعيف وهو " أيُّما امرأة ماتت وزوجها عنها راض، دخلت الجنّة." (الترمذي، 1996، صفحة 454)

ولم تقتصر صورة المرأة فقط في ذلك الكائن الضعيف المهيمن عليه، وإنما هي في بعض التمثلات الاجتماعية مصدر الفتنة والكيد و الدهاء، وهي حواء التي أخرجت آدم من الجنة وأكثر النساء في النار وخلقت المرأة من ضلع أعوج، والأصل في الحديث الشريف: " إنّ المرأة كالضّلع ، إن ذهبتَ تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها على عِوَجٍ." (الترمذي، 1996، صفحة 479) وبسبب تداول وتناقل هذه التفسيرات في المجتمع التي غذّت المخيال الشعبي بعدد من الصور فرسخت في الأذهان على أنها حقائق دينية وأصبحت أعرافا سائدة في المجتمع تُعلي من قيمة الرجل وتنقص من درجة المرأة بل تظلمها حتى في حقوقها الشرعية التي مكّنها الله منها كالإرث والتحكم في مالها ، و فرضت مجموعة من القواعد السلوكية على المرأة التي تحتّم عليها أن تبقى مختفية عن الأنظار وتعيش تحت رعاية وحماية الرجل وسلطة الجماعة .

والحقيقة أنّ الإسلام رفع من مكانة المرأة وأكرمها ، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، تناقض تماما صورة المرأة في التراث الاجتماعي الديني . فللمرأة حق التعلم والتجارة والجهاد والتملك دون أن يحق للرجل أن يأخذ من ما تملك ورغم ذلك هو قائم عليها يعيلها . وأعظم تكريم للمرأة أن الله ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وأوصى الأزواج في قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف" (النساء19) بالإضافة لما أوصى به الرسول الكريم :" خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة و عائشة . وفي قوله في حجة الوداع : "استوصوا بالنساء خيرا ." (الترمذي، 1996، صفحة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

455) و في حديث آخر " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخيركم خيركم لنسائهم." رواه الترمذي وهو حديث حسن عن عائشة وابن عباس. (الترمذي، 1996، صفحة 454)

و كخلاصة يمكننا القول أنّ من خلال ما ذكرناه من أمثلة تتضح الصورة و القيمة التي ترتكز على دونية المرأة وسط هيمنة الرجل في كافة مناحي حياتها، سواء اجتماعية سياسية، أو اقتصادية أو فنية...إلخ . على الرغم مما في تعاليم الإسلام من الدفاع عن المرأة ، إلا أن هذا الاضطهاد والحرمان لحقوقها لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتيجة حتمية لانتصار النظام الأبوي على النظام الأمومي في المجتمع.

وبما أنّ المرأة في كل المجتمعات البشرية تمثّل ذلك الوطن الذي يحنّ إليه المرء، هذا دفع عددا من العلماء المعاصرين إلى إعادة النظر في هذه المرويات و تأويلاتها من خلال مراجعتها على ضوء الثوابت القرآنية والنبوية. كما أخذت صورة المرأة المروج لها في الإعلام تتغير نوعا ما لتصبح المرأة التي تمارس إلى جانب دورها التقليدي في الحياة فهي تمارس أنشطة غير اعتيادية خارج الإطار الأسري .

2- صورة المرأة في الشعر الشعبي:

و في ضلّ سلطة المجتمع الذكوري أصبحت المرأة تعيش وضعية صراع مع هذا الواقع الذي تغذيها المبادئ السلوكية التي تحط من قيمتها ، فهي في تصوّر الرجل ليست كيانا وشخصا وإنما جسدا مرغوبا. إذ حدّدت صورة المرأة من خلال التعبير العامي في شكل بضاعة تقتنى ،كما في القول: "أنا شريتك " ففكرة الاقتناء هذه امتلاك الجسد ، فالمرأة ماعون ينجب الذرية ويرضي في الرجل نزعته الجسدية، وهذه الناحية هي أبرز خط في صورة المرأة كما تصورها المأثورات الأدبية في الجزائر." (أوشاطر، 2006، صفحة 303)

و لعلّ ما تقدمه الأمثال الشعبية من صور التمييز لخير دليل على وضع المرأة في المجتمع. فكثيرا ما تعمل الأمثال الشعبية على وضع المرأة في مكانة أقل من الرجل مثل:

- العَاتَقْ فَالدَار عَارْ
- اِقْلِب القِدْرَة عَلَى فُمْهَا تَخْرَج البِنْت لِأُمِهَا.
- دِي بَنْت الخَيْمَة الكَبِيرَة وَلَوْ تَكُون هَبِيلَة.
- المرَا بِلَا أَوْلَاد كِي الخَيْمَة بِلَا أَوْتَاد.
- الخِير امْرَا وَ الشَّر امْرَا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- النْسَا كَيَّتْهُم مَا تَتَنْسَى وَ مَرْقَتْهُم مَا تَتَحْسَى.
- النْسَا إِذَا حَبّو يَدَبْرُو وإِذَا كَرْهُو يَخَبْرُو.

أما المرأة وحضورها في الشعر العربي فقد شكّل حيزا مهما في المواضيع ، حيث أثار خيال المبدع العربي فوصفها وبيّن حضورها في المجتمع من خلال تحميلها بنى فكرية متعددّة بدأت منذ العصر الجاهلي ، حيث نرى أنها اتخذت عند الشاعر صورا عديدة ومن هذه الصور صورة المرأة العاذلة ، الملكة ،الصنم المعبود والمعشوقة...إلخ والتي تعمل على استمالة الشاعر أو استمالة الشاعر لها. فإذا عدنا إلى الشعر الشعبي وجدنا أنّها لم تخرج كثيرا عن الإطار الذي رسمه لها في الشعر الفصيح ، إذ نجد الشاعر يتفنّن في رسم صور المرأة المختلفة مابين الإيجابية والسلبية ، فتعدّدت عنده الرؤى والصور ما بين الحسية والمعنوية، بحسب أدوار المرأة المتعددة في المجتمع. فمنذ القديم والشاعر متعلق بالمرأة ويراها أهمّ شيء في الوجود يعيش الشوق الأقوى إليها، والوجد لفقدها ، أما وصالها فهو الأمتع. ثمّ اتسعت دلالات المرأة في الشعر لتأخذ امتدادات أخرى نحو التأكيد على الوطن والأم .

و تعدّدت أوصاف المرأة في الشعر الشعبي وتنوّعت مشاربه حسب تمكّن هؤلاء الشعراء وبراعتهم الفنية واختلاف بيئاتهم وتأثيرات الأعراف و التقاليد، فمنهم من شغف حبا فتغزّل بها لجمالها فأخرجها في صورة مثلى فوصف القد الممشوق والعيون التي تشبه عيون الريم والخدود التي تشبه التفاح الأحمر، ومنهم من نعتها بالدهاء والخيانة والغدر . إلا أنّ هذه الصور تكاد تكون متشابهة و متكرّرة عند أغلب الشعراء، تختلف فقط من حيث السبك و الأسلوب و الجمالية في الصورة. .

2-1صور المرأة المتغزَّل بها:

وبما أنّ الحب غريزة سامية في البشر، و الإنسان محب بطبعه، فقد أحبّ المرأة وتعلّق بها، حيث" جعل الله تركيب العباد من محبّة الغزل و ألف النساء. فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام." (ابن قتيبة، د.ت، صفحة 21) فهذه العاطفة حرّكت وجدان الأدباء و دوّنها الشعراء في إبداعاتهم. فالعشق كما قال أبو بكر السراج "يطلق اللسان العي و يفتح حلية البليد والمخيل و يبعث على التنظيف و تحسّن اللّباس وتطييب المطعم، و يدعو إلى الحركة و الذكاء و تشرف الهمّة." (السراج،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

1981، صفحة 29) و لذلك وصف الشاعر أحاسيسه اتجاه المرأة المتغزّل بها في الشعر العربي قديمه و حديثه، فصيحه أو ملحونه .

و قصائد التغزل بالمرأة تأخذ مسارين في وصفها:

الأوّل: قصائد حب وغرام و هي من الشعر العذري ، فهو شعر عاطفي في المقام الأوّل. يحسّ المستمع بما فيه من تصوير مطلق لعاطفة الحبّ و تجريد للأشواق و الحرمان من أيّ رغبة غريزية أخرى .

الثاني:قصائد غزلية مليئة بالتهتّك و الإباحية في وصف المرأة وصفا جسديا ، من خلال الحديث عن طريق التلميح أو التصريح إلى علاقتهم بها. وهي علاقة لا تخرج عن دائرة اللهو و المتعة .

وفي غالب الأحيان يتكرّر الأسلوب الثاني في القصيدة الغزلية، " فصورة المرأة التي تسكن بعيدا عن الحبيب، وإرسال الرسل و الرسائل بصورة تتشابه في أسلوبها و معانيها بل حتّى الألفاظ تكاد تكون قوالب جاهزة، مثل اللوعة و البلوى و المحنة ،....و الريم و الزايخة ، و الإلحاح على المرسول في أن يكون حذرا حتّى لا يكتشف أمره." (بن الشيخ، 1990، صفحة 92) وكما يقول المرزوقي أنّ الشاعر الشعبي صوّر " جمال الحبيبة و الإغراق في تشبيه أجزاء بدنها جزءا جزءا ، فالوجه يشبهه عادة بالقمر، والرقبة برقبة الغزال، و العين بالسهم أو البندقية، أو بعين الغزال و البقر، و الشَّعر بالغسق." (المرزوقي، 1987، صفحة 120) و إذا قمنا مثلا بعملية إحصائية لشعر مصطفى بن إبراهيم، فإنّنا نجد أنّ غرض الغزل الماجن قد غلب على شعره. فهو خير مثال عن التهتّك و الحديث الصريح عن علاقاته بالنساء اللواتي لم يرى فيهنّ سوى المتعة و اللذّة . فهو من النّوع الذي يتكلّم عنه عبد الإله ميسوم ، فيقول: انصرفوا – شعراء الملحون– إلى الغزل المادي الواقعي، فتغنّوا بجمال كلّ امرأة تعلّقوا بها ولا سيما العريقة المترفة . وصفوا مفاتنها و صوّروا أناقتها وصرّحوا بمغامراتهم الغرامية بأسلوب عاطفي، قصصي ساحر، أخّاذ." (ميسوم، 1981، صفحة 32)

و من ذلك يقول مصطفى بن إبراهيم (بن ابراهيم، د.ت، صفحة 60):

سَلْبَتْنِـــي زِينَةْ الدْلَالْ الزَهْرَا حَمْرَه الشْفِيفَـــــه

غَرْبَه دُورْهَا اكْحَـــالْ نَعْمَانْ على الخُدُود ضْفَى

و ينعتها بالهلال، في قوله (بن ابراهيم، د.ت، صفحة 64) :

قُلْتْ لْهَا ضَيْ الهْلَالْ تَعَرْفِي خَاطْرِي اعْنُودِي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أو يشبهها بالريم، و الغزال في قصائد عدّة، منها في قوله (بن ابراهيم، د.ت، صفحة 63):

قُلْتْ لْهَا أَهْلَا وَ السَهَالْ بَقْدُومَكْ يَا الرِيمْ عَنْدِي

و يشبّهها بحور العين، فيقول (بن ابراهيم، د.ت، صفحة 90) :

حُورْ العَيْن ابْحَـــالْ مَا يَقْدَرْ وَصَّافْ يُوصَفْ

و يشبّهها بالذهب و اللويز ، إذ يقول (بن ابراهيم، د.ت، صفحة 97):

أَلْقِيـــتْ ذَهَبْ لويزَة فِـي يُومْ مَبْرُوكْ سَعِيدْ

و نخرج من هذا التصوّر إلى القول بأنّ المرأة التي يتحدّث عنها مصطفى بن إبراهيم في أغلب قصائده ، ليست امرأة بدوية تعيش بين الأودية و الشعاب، وإنّما هي امرأة ترعرعت في بيئة متحضّرة و تعوّدت على مجالس الترف وأكواب الصهباء.

و من خلال هذا يمكن القول، بأنّ الصورة الغزلية في شعر مصطفى بن إبراهيم ، صورة متداخلة، متعدّدة المواقف، متشابهة الأغراض . فهو لا يرقى بالحبّ إلى مستوى العاطفة الإنسانية ، بل لا تتجاوز إطار علاقة جسدية الغرض منها المتعة . إذ يشير د. عبد القادر عزة إلى هذا الموضوع، بقوله:" لم يسلك مصطفى بن إبراهيم منهاج مجنون ليلى في معالجة الغزل فهو يخالفه تمام المخالفة فأين نحن من المجنون وحبه المضني و وفاءه المؤثّر،حتى إن ذلك يعد بمثابة الأسطورة." (بن ابراهيم، د.ت، صفحة 26)

2-2 المرأة الكائدة:

اتّهمت المرأة بالكيد و المكر في كل المجتمعات والشعوب ، فقد قال هوميروس :" أخبث وأرذل الأعداء ، المرأة إذا انطوت على شرّ." (هيئة التحرير، 1982، صفحة 127)ولا ننسى أفلاطون الذي وقف موقفا سلبيا ضدّ المرأة لدرجة أنّه كان يتحسّر كلّما تذكّر أنّ ولدته امرأة.كما استعمل العرب الآية القرآنية:**"إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ "** للاستشهاد على أنّ الله تعالى يؤكد أنّ المرأة تمتاز بالمكر والكيد ،فلم تفسّر الآية إلا لما يخدم الغرض وهو نعتها بالصفات السيئة .رغم أنّ الكيد موجود عند النساء والرجال سواء والدليل على ما ذكر في القرآن الكريم حول كيد إخوة يوسف له.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ففي قول الشاعر عبد الرحمن المجذوب تأكيد على نظرة المجتمع للمرأة، حيث ينعتها بالدهاء والكيد، وقد يؤول هذا النقد لتجربته الفاشلة ، إذ تزوّج الشاعر من أرملة و أم لعدّة أطفال ، وكان هذا الزواج تعيسا وسببا رئيسيا في بغضه للنساء وهجائهنّ. (المجذوب، د.ت، صفحة 7):

كَيْدُ النِّسَاءِ كَيْدَيْن وَمِنْ كَيْدِهِم يَا حَزُونِي

رَاكْبَة عَلَى ظَهر السَّبْع وَتَقُول الحَدَاء يَاكْلُونِي

ففي هذا القول إشارة إلى التعجب من كثرة حيل النساء وكيدهن لدرجة أنه يصورها بالفارس الذي روض الأسد فامتطاه إلا أنّها تدّعي الخوف من طائر الحدأة .كما يمدنا بصورة ثانية يبين فيها قوة مكرها فيجعلها قادرة على تجعل الأفعى حزاما والعقرب خلخالا في قوله (المجذوب، د.ت، صفحة 6):

بَهْت النَّسَاء بُهْتِين مِنْ بُهْتُهُم جِيتْ هَارَبْ

يَتْحَزْمُوا بِاللْفَاعْ وَيَتْخَلْلُوا بِالعَقَارِب

2-2 المرأة غير الوفيّة:

الخيانة من بين الأوصاف التي لازمت شخص المرأة في كل المجتمعات ،إذ نجد الشاعر الشعبي أيضا عبّر عن عدم وفاءها للعهد ، فحبها للرجال لا يدوم ، إذ نجده يشبهه بالحناء التي تزيّن كفوفها ثمّ تزول بسرعة، في قول الشاعر (نور الدين، د.ت، صفحة 29):

حُبْ الْنِسَا ء كِالْحَنَّا فِي الْحِينْ يَفْسَخْ لَلْبَاسُه

و يصل الشاعر إلى أنّه تأمّل في طبع المرأة فلم يجد أحدا يساويها في الغش ماعدا اليهودي الذي تعلّقت به هذه الصفة و ترسّخ ذلك في الذاكرة العربية، في قوله (نور الدين، د.ت، صفحة 29):

حَتَّى وَاحَدْ مَا غَشَّاشْ كَالْمَرَاة وَالْيَهُودِي

فالجمال في نظر الشاعر ليس مقياسا لاختيار الزوجة إذا لم يكن مصحوبا بجمال القلب والعقل ، الذي ينتج عنه حسن الفعل ، والتحلّي بالفضيلة ونبذ الرذيلة ، لأنّ الجمال شيء زائل مع التقدّم في العمر. وانطلاقا من هذه الرؤية نجد الشاعر يحذّر من الزواج الذي يبنى على أساس جمال المظهر دون الالتفات إلى ما وراءه من أفعال ، فيشبهه كمن أعجب بزهر الدّفلى الذي يبدو وردا جميلا يانعا ولكنّه مرّ المذاق، يبقى أثر على اليد لمدّة طويلة مما يجعله مستكرها ، بقوله (المجذوب، د.ت، صفحة 5):

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لَا يَعَجْبَكْ نُوَارْ دَفْلَة فِي الْوَادْ دَايَرْ ظْلَايَلْ
لَا يَعَجْبَكْ زِينْ طَفْلَة حَتَّى تْشُوفْ الْفْعَايَلْ

إنّ ما يمكن أن نلاحظه مما ذكر من صور للمرأة، هو أنّ الشاعر الشعبي يستمد لغته وأفكاره من المجتمع الذي يعيش فيه مأخوذا بمقاييس معينة متعلقة بما كان قائما من تصور في الواقع الاجتماعي. فهذه النظرة الجائرة في الحكم الشامل على المرأة جعلته ينعتها بجملة من الرذائل دون أن يشير إلى أنّ هذه الصفات تخصّ الرجل أيضا . ويمكننا من خلال ما ذكرناه من نماذج شعرية نصل إلى أن الشاعر الشعبي ورغم كل ما ذكره من أوصاف سلبية للمرأة ، إلا أنّها ستظل مصدر إلهام الرجل واهتمامه وشعوره بالحاجة إليها. وهذا ما عبّر عنه شكسبير بقوله:" إنّ المرأة العظيمة تلهم الرّجل ، أما المرأة الذكية فتثير اهتمامه، بينما نجد المرأة الجميلة تحرّك في الرجل أكثر من مجرّد الشعور بالإعجاب ، ولكن المرأة العطوفة الحنونة وحدها هي التي تفوز به في النهاية." (هيئة التحرير، 1971، صفحة 105)

خاتمة:

وخلاصة القول أنّ صورة المرأة تعدّدت في المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة . بحيث أنّ المتأمل فيما تختزنه الذاكرة الشعبية من أفكار وتصورات وما يصدر عن الأفراد من أفعال وتصرفات لابد و أن يكتشف تأثير التأويل الذي حدث للنص الديني سواء كان قرآنا كريما أو حديثا شريفا. وهذا ما أدى إلى وضع صورة نمطيّة لدونيّة للمرأة وقلّة حكمتها. أما الشاعر الشعبي فعبّر عن مشاعر المجتمع لأنّه أقرب إليه وأوثق صلة بنمط معيشته، وأكثر اطلاعا على أحاسيسه وأفكاره. إذ أنّ الرجل إذا أحبّ امرأة تغزّل بها ووصفها بأحسن الأوصاف وإذا كرهها أو ناله منها الضرر هجاها وذمّها بأرذل النعوت ، وهذا هو نفس فعل المرأة، مما أنشأ صراعا أبديا دائما بين الجنسين . و لعلّ هذا هو السرّ في تناقض صور المرأة في المجتمع العربي إن لم نقل كل في المجتمعات البشرية . وهذا المحتوى المكتسب من المحيط الثقافي الذي تتناقل فيه الأحاديث والإشارات الضمنية والصريحة في الحياة العامة، يرسخ في الأذهان من خلال التربية والتنشئة. مما أدى إلى حصر المرأة في صورة أنثى رامزا للشرف ومكبا لانفعالات المجتمع، رغم التطور الحضاري الذي مكّن المرأة من ولوج مجالات متعددة ومشاركتها في أشكال الحياة المختلفة .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

1. أبو الفضل جمال ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار صادر.
2. أبو بكر السراج. (1981). *مصارع العشاق*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.
3. أبو حامد محمد الغزالي. (2005). *إحياء علوم الدين* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع لبنان.
4. أبو حامد محمد الغزالي. (1984). *الزواج الإسلامي السعيد وآداب اللقاء بين الزوجين*. الجزائر: دار رحاب.
5. أبو عبد الله محمد البخاري. (2002). *الصحيح* (الإصدار ط1). دمشق، سوريا: دار ابن كثير.
6. أبو عبد الله محمد العبدري ابن الحاج. (د.ت). *المدخل*. القاهرة، مصر: دار التراث.
7. أحمد رشدي صالح، (1971)، الأدب الشعبي، (الإصدار ط3)، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
8. التلي بن الشيخ. (1990). *منطلقات التفكير في الأدب الشعبي*. الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
9. الحافظ أبو القاسم الطبراني. (1995). *المعجم الأوسط ،ج1*. القاهرة، مصر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.
10. الحافظ أبو عبد الله الذهبي. (2003). *الكبائر* (الإصدار ط2). الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الفرقان.
11. الحافظ أبو عيسى الترمذي. (1996). *الجامع الكبير مج2* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
12. عبد الإله ميسوم. (1981). *تأثير الموشحات في التروبادور*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.
13. عبد الله مسلم الدينوري ابن قتيبة. (د.ت). *الشعر والشعراء*. بيروت، لبنان: دار الثقافة.
14. عبد الرحمن المجذوب. (د.ت). *الديوان*. الدار البيضاء، المغرب: دار إحياء العلوم.
15. عبد القادر نور الدين، (د.ت)، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب، الجزائر المطبعة الثعالبية ، (د.ط).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

16. محمد المرزوقي. (1987). *الأدب الشعبي*. تونس: الدار التونسية للنشر.

17. محمد ناصر الدين الألباني. (1998). *صحيح سنن النسائي*. الرياض، السعودية: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

18. مصطفى بن ابراهيم. (د.ت). *الديوان*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

المقالات:

هيئة التحرير. (مارس, 1971). طرائف غربية. *مجلة العربي* (148)، الصفحات 105-107).

هيئة التحرير. (ماي, 1982). مقالات في كلمات. *مجلة العربي* (282)، الصفحات 127-129.

المداخلات:

مصطفى أوشاطر، (2006)، *القيم الأخلاقية وآداب السلوك الاجتماعي من خلال الحكاية الشعبية في الجزائر*، الملتقى الوطني حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية. (الصفحات 299- 305). تيارت 13 -14 أكتوبر 2002: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية .